

تقنيات الزمان في القصة والروايات

ناشد.كي

باحث الدكتوراه، كلية فاروق

د. عباس كي بي

أستاذ مساعد ومشرف البحث

كلية فاروق، كيرلا

ملخص البحث

ترتكز هذه الدراسة على تقنيات الزمان في القصة والروايات. و يشير الباحث إلى أهم تقنيات السرد القصصي الزمني السائدة في القطعات الأدبية وكيفية استخدامها في السرد الأدبي. و تدور هذه الدراسة حول تقنية الاستغراق الزمني مثل تقنيتي تسريع السرد وإبطاء السرد وتقنية الترتيب الزمني مثل تقنيتي الاستباق والاسترجاء. الكلمات المفتاحية: تقنيات الزمان، الترتيب الزمني، الإستغراق الزمني، التواتر.

التمهيد :

إن الزمان عنصر من عناصر السرد الأدبي، وهو عامل من أهم عوامل تقنيات السرد الذي تقع فيه أفعال الشخصيات، وهو الهيكل الذي تنشأ عليه عناصر المروي، والمروي يتقمص من خلال الزمن. وهو عامل فاعل في الحياة، وعنصر يقدر على التغيير، ويجعل البيئة غير مستمرة في حالة ثبات، بل يحركها باستمرار. وإنه أساس من أساس القصة التي تؤثر وتتأثر بأسسها الأخرى. أما القصة القصيرة فهي تمثل الصراع مع الزمن، لأنه شريط لغوي قصير زمنيا، وذو بؤرة مركزية واحدة، تنير لحظة من لحظات الشخصية.

وحيث توجد أهمية الزمان بحسب طبيعة الموضوع الذي تعالجه القصة، وهو ركن مهم من أركان البناء القصصي، فإن الزمن عند «جيرار جنيت» يتألف من تصنيفات ثانوية: الترتيب أو النظام، والمدة، والتواتر.

النظام أو الترتيب :

هو تنظيم الأحداث تنظيماً حطياً، و الزمن الخطاب قد تحدث مفارقات زمنية. وله ربط وثيق باختيار المؤلف للموضوع الذي يعالجه وحيث يجري البحث في دراسة الزمن على تقنيتين. وهما الترتيب الزمني و الاستغراق الزمني.

المحور الأول : الترتيب الزمني (المفارقة السردية)

ويعني الربط بين النص والزمن ، تعني دراسة الترتيب الزمني في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة^١. الأمر الذي يجبر الكاتب على أن يختار ويحذف وينتقي من بين الأحداث الكثيرة والشخصيات الواقعة في زمن الحكاية حيث ينسجم مع زمن السرد القصصي ، بحسب ما تقتضيه الضرورة الفنية، مما ينشأ عنه ظهور ما يسمى بالترتيب الزمني أو المفارقة السردية التي تكون - تارة . استرجاعاً أو ارتداداً إلى الماضي ، وتارة أخرى استباقاً أو استشرافاً لأحداث لاحقة^٢.

تقنية الاسترجاع:

التقنية الزمنية تعني سرد حوادث أو أقوال أو أعمال وقعت في الماضي. ومعيار الماضي هو الحاضر القصصي الذي يرومها في لحظة لاحقة. وتمثل عنصراً مهماً في إضاءة ماضي الشخصية، أو كشف جوانب خفية في الشخصية الحاضرة، فضلاً عن « تلبية بواعث جمالية وفنية، وتحقيق هذه الاستذكارات عدداً من المقاصد الحكائية مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه بإعطائنا معلومات حول عوائق شخصية جديدة أو باطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد^٣.

وثمة طرائق متعددة للكيفية التي يتم فيها الاسترجاع، منها: طريقة السرد التقليدي، الذي يعود فيه راوي الأحداث إلى رواية الأحداث الماضية التي وقعت في بداية أحداث

١ جنيت جيرار: خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ت. محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٤٧

٢ حميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٣، ص ٧٣.

٣ بنية الشكل الروائى، حسن بحرأوى، المركز الثقافى العربى، الطبعة ١٩٩٠، ص ١٢١-١٢٢

القصة أو قبل بدء بعض الأحداث التي رواها، أو عن طريق الشخصية القصصية نفسها. ولما كان الماضي يتميز بمستويات مختلفة ومتفاوتة، فإن (جيرار جينيت) يقسم الاسترجاع إلى استرجاع خارجي يعود إلى ما قبل بداية القصة، واسترجاع داخلي يعود إلى ماضي لاحق لبداية القصة قد تأخر تقديمه في النص، واسترجاع مزجي يجمع بين الاثنين.^٤

تقنية الاستباق :

تقنية زمنية تخبر صراحة أو ضمنا عن أحداث سيشهدها السرد القصصي في وقت لاحق، ويمكن القول إن الاستباق هو شكل من أشكال الانتظار أو التطلع، وهو الشكل الثاني من المفارقة الزمنية التي تبعد السرد عن مجراه الطبيعي، ويعرف هذا الشكل بأنه « كل حركة سردية تقوم على أن يروى حدث يذكر مقدما »^٥. ويتم الاستباق بأكثر من طريقة، منها توقع إحدى الشخصيات لما سيحدث، أو تخطيط هذه الشخصية للمستقبل في ضوء أحداث آنية للقصة.^٦ وغالبا ما تتم الإشارة إلى الاستباق بشكل عابر وسريع قد لا يتجاوز أكثر من فقرة أو فقرتين، وهي تكشف عن تصورات ومخططات لم تحصل بعد في الواقع. ويشغل الاستباق نسبة ضئيلة من مساحة النص القصصي؛ يعود ذلك إلى أن إيراد ما سيقع قبل وقوعه لا ينسجم مع عنصري التشويق والمفاجأة، الأمر الذي يجعل الكاتب لا يكثر من مثل هذه التقنية حرصا منه على إبقاء المتلقي منجذبا لأحداث قصته حتى النهاية.

المحور الثاني : الاستغراق الزمني

وهي تقنية سرد الأحداث من حيث سرعتها وبطئها، فقد تكون الأحداث المروية في عدة أسطر، ملخصا لما جرى في سنوات طويلة، وربما يكون الأمر على العكس، وهذا ما يجعل الحركة السردية تتسم بالسرعة تارة وبالبطء تارة أخرى، إذ « أن الراوي يتخير السياق المناسب ليمدد في حبل الكلام أو ليقصره، بناء على خطة تأخذ بعين الاعتبار

٤ النقد التطبيقي التحليلي، د. عدنان خالد، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة ١٩٨٦: ص ٨٠

٥ خطاب الحكاية-بحث في المنهج، جيرار جينيت:ت:محمد معتمد وآخران، المركز القومي للترجمة، الطبعة ١٩٩٧: ص ٥١

٦ البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة ١٩٩٤: ص ٦٣

العديد من المعطيات أبرزها معمار العمل الفني وبلاغة المحكي »^٧. وبذلك تؤدي تقنيتنا الإسراع والإبطاء دورهما في تحديد العلاقة التي تربط بين زمن الحكاية وطول النص الذي تسرد فيه.

١. تسريع السرد : تعد عملية تسريع السرد أو تعجيله من التقنيات التي تدخل في صميم البناء الفني للنصوص القصصية، وتقوم هذه العملية على حركتين متميزتين وهما: التلخيص والحذف.

أ. التلخيص : - وهو شكل من أشكال السرد القصصي، ووظيفته تلخيص مدة زمنية لعدة أيام أو عدة أسابيع أو عدة سنوات في مقاطع، أو صفحات قليلة، من دون الخوض في ذكر تفاصيل الأعمال والأقوال التي تضمنتها الصفحات أو المقاطع المشار إليها^٨. إن قلة حضور هذه التقنية في القصة القصيرة ليست غريبة؛ وذلك بسبب محدودية الزمن الذي تستغرقه القصة القصيرة وقصر الشريط اللغوي لها.

ب. الحذف : - وهو تقنية سردية تعمل إلى جانب التلخيص على تسريع حركة السرد، حيث تقوم على أساس حذف مدة زمنية طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث^٩.

وهناك نوعان من الحذف: إما ظاهري، يشير إليه الراوي، من مثال: (مرت بضعة أسابيع أو شهر أو مرت سنوات)، أو الحذف الضمني، والجدير بالذكر أن الحذف الضمني لا ترد إشارة إليه، بل يستنتج المتلقي المدة المسكوت عنها من خلال موازنة أحداث الحكاية.

٢. إبطاء السرد: هي آلية تعمل على تعطيل حركة السرد في كل النصوص القصصية، ويتم إيقافها أو تخفيفها بوساطة مظهرين أساسيين، هما المشهد والوقف^{١٠}.

أ. المشهد :- وهو التقنية التي يقوم الراوي فيها باختيار المواقف المهمة من الأحداث الروائية وعرضها، بحيث يتم الوقوف على تفاصيل الأحداث وأبعادها و تواليها فتقنية

٧ في السرد- دراسات تطبيقية-عبد الوهاب الرفيق، دار محمد الحامي للنشر، الطبعة ١٩٩٨ ص٤٩

٨ بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، الطبعة ٢٠٠٤، ص٧٧

٩ بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الطبعة ١٩٩٠، ص:١٥٦

١٠ اشكالية الزمن في النص السردية، عبد العالي بوطيب، مجلة فصول، رقم العدد ٢، تاريخ الاصدار ١-أبريل

١٩٩٣:ص١٣٨.

المشهد تمثل « اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق»^{١١}

ب . الوقف : - وهو تقنية تعمل إلى جانب المشهد على إبطاء مسير حركة السرد في بنية القصة، وتعني إيقاف الأحداث المتنامية إلى الأمام بهدف تقديم مشهد قصده التأمل، حيث يجري تعطيل الزمن القصصي على حساب زمن السرد لمدة قد تطول أو تقصر^{١٢}. وهذا الوقف قد يكون بقصد الوصف مثلا ، لأن الوصف يعطي زمنا ميتا، حيث تبدو الأشياء والكائنات لحظة وصفها، كما لو كانت مجمدة، الشيء الذي يجعل الوصف يبدو كأنه يحدث توقفا في مجرى الزمن.^{١٣}

المحور الثالث: التواتر:

وهو العلاقة بين عدد المرات التي تحدث فيها الواقعة وعدد المرات التي تروى فيها فما يحدث مرة واحدة على مستوى القصة يمكن أن تروى مرة واحدة في الخطاب السردى (القص المفرد)، أو ما يحدث مرة واحدة يمكن أن تروى عدة مرات (القص التكراري) أو ما يحدث عدة مرات يمكن أن تروى مرة واحدة (القص التكراري)،

- فردي : سرد واحد/لقصة واحدة
- تواتر تكراري : سرد واحد لعدد من القصص
- توتر تكراري: عدة سرود لقصة واحدة.

نتيجة البحث :

يمكن من خلال هذه الدراسة الاطلاع على تقنيات الزمان السردية مثل الترتيب الزمني والاستغراق الزمني و كيفية توظيفها عند كتابة الإبداعات الأدبية .

١١ بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، حميد لحميداني:، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٣، ص٧٨

١٢ بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الطبعة ١٩٩٠، ص١٧٥

١٣ وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة ٢٠٠٩، ص٤٣